

16/03/2015 مقالات وآراء

## الرياض وطهران: 35 دقيقة قد تهز المنطقة



صبحي حديدي

لم تكن مصادفة أن الرئيس الأمريكي باراك أوباما اختار البرلمان التركي (وليس الأندونيسي مثلاً، كما قالت ترجيحات مبكرة يومذاك) لمخاطبة العالم المسلم، في مستوى شعوبه وقضاياها الكبرى، إسوة بأنظمتها ومصالحها الصغرى؛ وذلك في أول إطلالة دولية، لأول رئيس أمريكي أسود، ولد لأب مسلم. وسوف تتولى تلك الخطبة التشديد على البعد الثقافي (الديني والحضاري والتاريخي، في معانٍ أخرى) وراء خطوة كهذه بصفة خاصة، ثم إبراز الخلفية الاستراتيجية والحيوية - سياسية لعلاقة الغرب بالعالم المسلم، وبتركيا خصوصاً. وإلى جانب مستقبل التعاون في ملفات سياسية كبرى، مثل العراق وإيران والسلام العربي - الإسرائيلي والقضية القبرصية وأفغانستان والباكستان وناغورني - كارباخ، كانت الركيزة الفكرية، أو الثقافية لمن يشاء، في خطاب أوباما هي امتداح التجربة الديمقراطية التركية. وذلك مديح شمل سيروية نشوء تركيا الحديثة (ومن هنا جاءت فقرة التغني بشخص مصطفى كمال أتاتورك)، ثم التطورات اللاحقة التي عززت النظام الديمقراطي التركي (إلغاء محاكم أمن الدولة، وإصلاح قانون العقوبات، وتدعيم قوانين حرية الصحافة والتعبير، ورفع الحظر عن تدريس اللغة الكردية...). وعلى نحو مبطن، ولكنه غير خاف بالطبع، خاطب أوباما تركيا بوصفها، أيضاً، دولة أطلسية تستضيف قواعد عسكرية أمريكية أساسية، تُناط بها مهامٌ لوجستية وعملية لا يُستهان بها. جرت مياه كثيرة في أنهار تركيا والولايات المتحدة منذ تلك الخطبة، غني عن القول؛ ولم تكن تركيا في حينه ألدوغانية - إذا جاز التعبير - إلى الدرجة التي هي عليها اليوم؛ كما لم يكن الجوار الإقليمي عاصفاً إلى هذا الحد، غير المسبوق: علاقات تركية - إسرائيلية لم تشهد، من قبل، هذا المستوى من الخلاف والتوتر والمواجهة؛ و«ربيع عربي» هز أنظمة استبداد مكيئة عتيقة، وأعاد تركيب معادلات المنطقة الحيوية - سياسية، بعد أن قلبها رأساً على عقب تقريباً؛ وتنظيمات جهادية متشددة لم تكتف بتسعين الممارسات الإرهابية، بل ذهب بالعرف إلى أقصى أنساقه وحشية وهمجية؛ وتمدد إيراني في المنطقة، أتاح له الغزو الأمريكي للعراق أن يتطور إلى مشروع نفوذ



إقليمي واسع الجغرافياً وجشع الأطماع، يقطع قوس منطقة عريضة تبدأ من العراق وسوريا ولبنان، دون أن تتوقف عند فلسطين والخليج العربي واليمن.

الأرجح أن هذا المشهد، المركب والمعقد والزاهر بالمعطيات المتفجرة، كان محور الدقائق الـ35 لاجتماع الملك السعودي سلمان بن عبد العزيز بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان، أثناء زيارة الأخير للمملكة مطلع هذا الشهر. هذه محادثات «على انفراد»، كما تصف اللغة الدبلوماسية طرازاً من مداولات ساسة العالم، على طاولة تنفرد عن المعلن لكي تنتهج ما هو مكتوم وسري، حيث تُصاغ سياسات كبرى، وتتخذ قرارات حاسمة. صحيح أن البيان الصحفي المشترك، الذي أعقب الزيارة، لم يشير إلى أي اختراق دراماتيكي في العلاقات السعودية - التركية، في مستوى اللفظ على الأقل؛ إلا أن علائم كثيرة تنبئ بأن تحولاً نوعياً سوف يطرأ على تعاون البلدين، في ميادين كثيرة، لعل أبرزها احتواء المد الإيراني في المنطقة عموماً، وإعادة «جدولة» الأولويات في تحديد الأخطار الأهدد؛ كأن يراجع العاهل السعودي قراءة أخيه الراحل الملك عبد الله لخطر الإخوان المسلمين بالمقارنة مع المد الإيراني، خاصة إذا نجحت طهران في انتزاع اتفاق دولي حول برنامجها النووي.

وهكذا فإن الأيام القليلة القادمة حبل بالمتغيرات، أغلب الظن، ولعل تلك الدقائق الـ35 سوف تهز قوس النفوذ الإيراني ذاته، أولاً؛ قبل أن تنتقل الهزات إلى سائر المنطقة، حيث الأرض حاضنة زلازل كثيرة، أصلاً!

المصدر: القدس العربي